

## تمهيد

### ما الأدب العربي الحديث؟

يواجه اسم «الأدب العربي الحديث»، الذي يشكل موضوع هذه الدراسة، مشكلة؛ فالكلمات الثلاث التي تكون هذا الاسم لا تعبر بدقة عن المضمون، كما يبدو للوهلة الأولى. وقبل أن نبدأ مناقشة موضوعنا سنقدم تعريفات مختصرة؛ لتحديد نطاق هذا العمل.

أولاً: أنا أشير بكلمة «الحديث» إلى الأدب المكتوب بوجه عام، بعد تعرُّض الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى تأثير واسع من أوروبا الغربية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين. وهذه العملية التي نُوقِشت كثيراً في اللغتين العربية والإنجليزية، كانت عملية تراكمية معقدة. ولأهداف عملية اعتمد تاريخ 1798 (تاريخ غزو نابليون مصر) بوصفه نقطة بداية سلسلة من التطورات، وعلى الرغم من أهمية هذا التاريخ بوصفه نقطة بداية معتمدة (وسوف أستخدمه بالمعنى نفسه هنا)، ولكن ليست له صلة بمناطق أخرى من العالم العربي، الذي بقي بعضه بعيداً عن التأثير الأوروبي من وجهة نظر اجتماعية وأوروبية حتى القرن العشرين، في حين تمتع قليل من البلاد العربية (لبنان أفضل مثال على ذلك) باتصالات واسعة ومميزة مع أوروبا على مدى قرون، قبل أن يطرأ جيش الإمبراطور الفرنسي الأراضي المصرية. وكما سنرى في الصفحات المقبلة فإن مسار التطور الأدبي (مثل التطور الاجتماعي والسياسي) في الشرق الأوسط كان بعيداً عن الانتظام والتواريخ المحددة والواضحة، ولكنه كافٍ، ويمكن أن يكون في معظم الأحيان مضللاً. وعلى كل حال، وكما ستوضح ذلك الصفحات المقبلة أيضاً، وعلى

الرغم من أن معظم الأدب العربي «الحديث» يظهر علامات تأثر واستعارة من التقليد الغربي، ولكنه من المستبعد أن تثمر أي محاولة لفهم تطور الأدب العربي الحديث بعيداً عن الموروث العربي الكلاسيكي.

لنتحول الآن من «الحديث» إلى «العربي»، قد يبدو هذا المصطلح في البداية أقل تعقيداً من «الأدب العربي»، من المؤكد أنه «أدب كتب باللغة العربية»، وهذا تعريف جيد ووافٍ لمعظم المادة التي نتعامل معها، ولكن اتسم التاريخ السياسي للشرق الأوسط في القرنين الماضيين بحقب من الاستعمار الأوروبي المعادي، وفي بعض الأحيان كان هناك تداخل ثقافي غير واضح، خاصة في بلاد شمال إفريقيا (وبنسب مختلفة)، وخفت الأدب العربي بتأثير الأدب الفرنسي في بعض الحقب قيد الدراسة هنا، وعلى الرغم من أن هذه الدراسة لا تضم الأدب المكتوب بالفرنسية، (ولكنه سيُذكر أحياناً)، ولا يمكن تجاهل ظاهرة الأدب الفرانكفوني، وكثير من الأدباء موضوع دراسة هذا الكتاب كتبوا باللغتين الفرنسية والعربية، أو تنقلوا أحياناً بين اللغتين، وهو توجه له مغزاه السياسي والأدبي. وشكلت مثل هذه المعاناة جزءاً من المحيط الثقافي العام الذي أنتج أغلب الأدب العربي في شمال إفريقيا خلال معظم القرن العشرين، وتمس الحديث عن الأدب «العربي» الحديث مسأً وثيقاً. وظاهرة أخرى (على الرغم من أنها غير واضحة حتى وقت قريب) هي ظاهرة الأدباء العرب، الذين عاشوا في الغرب في بعض الأحيان، ويكتبون بالإنجليزية، وأمامهم سوق أكبر من تلك المتوافرة لزملائهم المتحدثين بالعربية.

والمصطلح الثالث «الأدب» يحتاج أيضاً إلى بعض الشرح. يشير المصطلح إلى «الأدب المتخيل أو الروائي والقصصي» بالنسبة إلى القارئ الغربي - الرواية، والقصة القصيرة، والفلكلور، والمسرحية، والشعر، وما يوازيها



في الثقافات الأخرى. وبالتأكيد سوف نستخدم هذا المصطلح بهذا المعنى في معظم هذه الدراسة. ويجب أن نتذكر أن كلمة «أدب» التي هي الأقرب إلى الأدب تُعدّ مصطلحًا معقدًا يضم إضافة إلى التعبير الأدبي «الثقافة» و«الأخلاق العالية» و«الاحترام» و«الإنسانية»، وتختلف معاييرها في المجال الأدبي تمامًا عن المصطلح الإنجليزي «الأدب»<sup>(\*)</sup>. وأيضًا الكتاب الأوائل والقراء لم يلتفتوا إلى اختلاف أنواع الأدب، كما فعل المتأخرون. ولذلك فإن كلمة «الأدب» في حقبة القرون العربية الوسطى كانت تعني كل أنواع الكتابة: التاريخ، والجغرافيا، والسيرة، والفلسفة وما إلى ذلك. وفي هذه الدراسة سنعني «بالأدب» - وفي معظم الأحيان - الأدب المتخيل أو الروائي، ولا يمنع ذلك من الإشارة أحيانًا إلى الأنواع الأدبية الأخرى، وبشكل خاص في الفصل الأول الخلفية، وفي الفصل الثاني الذي يتحدث عن المراحل الأولى للنهضة الأدبية في القرن التاسع عشر.



(\*) هناك ملاحظات أخرى عن العلاقة بين هذه المعاني المختلفة موجودة في الصفحات 24-27.

